نوور عيني

المحاضرة الثالثة عشر

الآثار السلبية والايجابية للعولمة الثقافية على الأمة الإسلامية

اولاً : الآثار السلبية للعولمة الثقافية

يمكن القول بأن الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الأمة الإسلامية تفوق من حيث العدد والخطورة الآثار الإيجابية لها، وبشيء من التلخيص المركز يمكن الوقوف عند الآثار السلبية التالية:

1- **ادعاء أفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلاميّة**
2- **إهمال الأساسيات الدينية ولا سيما في مجال العقائد**
3- **تذويب الانتماء إلى الدين والمعتقد**
4- **إهمال الآخرة تمامًا والتركيز على الحياة الدنيا فقط**
5- **الإكراه الثقافي والإرهاب الفكري الواقع على شعوب العالم**
6- **تغييب القيم الأسرية والاجتماعية التي رسخها الإسلام**
7- **إفساد الأنماط السلوكية السائدة لدى الشعوب**
8- **الترويج لمفاهيم مخالفة للعقيدة الإسلاميَّة**

1- ادعاء أفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلاميّة

وهذا الادعاء يحمل انتقاصًا مباشرًا للمعتقد والدين الذي تمثله هذه الثقافة الإسلاميّة ذات المصدر الرباني الذي كفل لها العصمة من التناقض (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)والبراءة من التحيز (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)والتحرر من عبودية البشر وأفكارهم، والاحترام وسهولة التطبيق لمبادئ تلك الثقافة.

والسماح لهذا الادعاء بالانتشار له تأثير سلبي مباشر على المنتسبين للدين الإسلامي وعلى بقية المجتمعات التي تبحث عن الثقافة الأصلح فتجد التشويه المتعمد للثقافة الإسلامية وفي المقابل الادعاء المستمر بأفضلية النظام الأمريكي الثقافي والسياسي والاقتصادي وهو جوهر نظر: فوكو ياما المتعلقة بنهاية التاريخ؛ لأن نهاية عصر الأيدلوجيات عنده إنما يعني حلول الأيدلوجية الأمريكية محل الأيدلوجيات الأخرى. أما الوسيلة الموصلة إلى هذا الهدف فقد عبر عنها: صموئيل هنتنجتون من خلال نظرية: صراح الحضارات.

2- إهمال الأساسيات الدينية ولا سيما في مجال العقائد

تحت وطأة النمط الثقافي الغربي الذي لا يقيم وزنًا لهذه القضايا:

إن من أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب الذي يرد الخبر به عن الله تعالى، وبدون ذلك لا يصح وصف الإنسان بالإيمان، والغيب يشمل الوحي باعتباره مصدر المعرفة الصحيحة وأمور الآخرة من بعث وحشر وجنة ونار، والإيمان بالقضاء والقدر، ومفهوم التوكل على الله، وكل هذه القضايا لا مكان لها في عالم العولمة الثقافية وهو مصدر اختلاف كبير بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وقد أشار لهذا الدكتور محمد الجليند بقوله: "إن الموقف المعرفي كله تختلف فلسفته في الحضارة الإسلاميّة عنها في الحضارة الغربية من ناحية الأهداف والمقاصد، وكذلك من ناحية الوسائل والمناهج"

3- تذويب الانتماء إلى الدين والمعتقد

وإضعاف علاقة الفرد بأمته ومسخ شخصيته المستقلة؛ ليذوب في منظومة العولمة الثقافية:

يعيش المسلمون اليوم في أكثر من 120 مجتمعًا بشريًّا وعدد الدول الإسلامية يبلغ 54 دولة وعددهم يزيد عن 1300 مليون أي ما يقارب 23% من عدد سكان العالم.

ولا شيء أخطر على الثقافة الغربية اليوم من شعور هؤلاء جميعًا بالانتماء الحقيقي إلى دينهم ومعتقدهم وثقافتهم.

ولهذا فقد عد هنتنجتون اقتناع أصحاب الثقافة الإسلامية بتفوق ثقافتهم مشكلة الغرب الخطيرة وبالتالي فمعالجة هذه المشكلة يقتضي تذويب هذا الانتماء ومسخ الشخصية المستقلة التي تميز المسلم عن غيره وهذا ما يفسِّر الحملة الشرسة المركزة على مفهوم الولاء والبراء في الإسلام باعتباره الأساس في إحساس الفرد بهويته الثقافية المستقلة.

4- إهمال الآخرة تمامًا والتركيز على الحياة الدنيا فقط

فقط متابعة للمفهوم الثقافي الغربي العلماني

ويتبع ذلك التقصير الشديد في أداء العبادات؛ كالصلاة والصيام والزكاة، والسعار المادي المستمر؛ لأن المنفعة المادية العاجلة تصبح الهم الأكبر المسيطر على الإنسان (المعولم ثقافيًّا) مما يجعله يضحي بكثير من قناعاته ومبادئه في سبيل المصلحة المادية التي تجلب له المنفعة واللذة وهي القيمة المطلقة التي تدعو إليها(العولمة الثقافية) وهذا الواقع يشيع الخواء الروحي ويُفقد الفرد توازنه النفسي ويزيده قلقًا واكتئابًا وشعورًا بأنه مجرد ترس صغير في آلة كبيرة تدور باستمرار لكسب المال المحقق للمطالب الدنيوية البحتة.

والقاعدة في الإسلام أن يركز المسلم على ما فيه سعادته الأخروية أولاً، ولا ينسى ما يحقق له سعادته الدنيوية بما لا يتعارض مع الحدود الشرعية يقول تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا).

5- الإكراه الثقافي والإرهاب الفكري الواقع على شعوب العالم

بحيث لا يترك لها حرية الاختيار بين الدخول في العولمة الثقافية وبين التمسك بثقافتها الخاصة، وقد عبر توماس فريد مان عن ذلك بقوله: "العولمة أمر واقع وعلى اللاعبين العالميين إما الانسجام معه واستيعابه أو الإصرار على العيش في الماضي وبالتالي خسارة كل شيء ولا بد من قبول الأمر الواقع، ويقول وزير المالية الأمريكي الأسبق روبرت روين في رد ساخر على مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق حينما انتقد شرور العولمة: "اعذرني محمد ولكن على أي كوكب أنت تعيش إنك تتكلم عن المشاركة في العولمة كأن ذلك يتضمن خيارًا متاحًا لك، العولمة ليست خيارًا وإنما حقيقة واقعة، وهذا الإكراه ظلم صارخ ينتهك حقوق المجتمعات في المحافظة على الثقافة المحلية وينذر بردات فعل غير محسوبة قد تفوق كل توقع

6- تغييب القيم الأسرية والاجتماعية التي رسخها الإسلام

العلاقة بين الرجل والمرأة نظمها الإسلام بطريقة تكفل حقوق الطرفين، وترقى بعلاقتهما إلى أفق من الطهر والاحترام مع تلبية نداء الفطرة في كل منهما عبر مؤسسة الزواج التي كفلت لها الثقافة الإسلامية الاحترام والتقدير، ولكن العولمة الثقافية اليوم تسعى إلى تغييب هذه القيم

كما أن علاقات الأبناء بالآباء بما فيها من البر والإحسان، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، والتكافل الاجتماعي كلها قيم غائبة عن مسيرة العولمة الثقافية المعاصرة.

7- إفساد الأنماط السلوكية السائدة لدى الشعوب

ولا سيما الشعوب المسلمة في اللباس والأزياء الخاصة بالرجال أو النساء والتقليعات الغربية الخاصة بطريقة قص الشعر وتغيير الخلقة وأنواع المأكولات الغربية وطريقة تناولها بحيث يصعب اليوم تمييز الهوية الوطنية الخاصة بكل شعب في ظل هذه العولمة في ثقافة اللباس على النمط الغربي حتى لو كان المرء يسير في شوارع بومباي، أو بيونس آيرس، أو بيروت، أو نيويورك.

8- الترويج لمفاهيم مخالفة للعقيدة الإسلاميَّة

مثال ذلك: المفهوم الغربي لحقوق الإنسان المتضمن حق الحرية المطلقة من قيد الدين والمعتقد والقائم على أن مصدر الحقوق هو "الإرادة الإنسانية فإذا اجتمعت إرادة البشر ورغبتهم في احترام هذه الحقوق وصيانتها والمحافظة عليها

. فحينئذ يصبح ذلك حقًّا من حقوق الإنسان، أما في الإسلام فإن الوحي الإلهي هو مصدر الحق وأساس مشروعيته.

ومثال آخر: مفهوم الديموقراطية، الذي يعني حكم الشعب بالشعب وليس حكم الشعب بالشرع الإلهي، وقد أخذ مسيرو العولمة على أنفسهم العهد بنشر الديموقراطية الغربية بما تحمله من مفاهيم وقيم مخالفة للإسلام داخل بلاد المسلمين، ولا ريب أن ما في الديموقراطية من حسنات فإن الثقافة الإسلامية قد سبقت إليه وطبقته، وليس هذا مجال البسط في هذه القضية.

وقد أظهرت وثيقة قدمها تشارلزكرو ثامر في 2004/2/12م لمركز "أمريكان إنتر برايز" الذي يرسم الرؤية الإستراتيجية الأمريكية الحالية ويُشرف عليه نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني أن مأزق عقيدة العولمة الديموقراطية يكمن في طموحها الشمولي باعتبار أن محرك التاريخ ليس إرادة القوة وإنما إرادة الحرية، ولذا فلابد من عولمة الديموقراطية الأمريكية في العالم كله.

ثانياً : الآثار الايجابية للعولمة الثقافية

لكن ظاهرة العولمة الثقافية لا تخلو من إيجابيات مهمة في مجال نشر العقيدة والعلم الشرعي والدعوة إلى الله تعالى مع ملاحظة أن هذه الإيجابيات قليلة بالنسبة إلى السلبيات وتتعلق بالوسائل المستخدمة للعولمة الثقافية إذ أن هناك فرقًا كبيرًا بين ما يسمى بعمليات العولمة وبين ما يسمى بأيدلوجيات العولمة التي هي الجانب الثقافي للعولمة وهي خطرة للغاية كما تبيَّن من خلال المبحث السابق؛ لأنها استنساخ فكري وتنميط حضاري تقوم به القوة المسيطرة الغالبة. أما عمليات العولمة فهي من باب الوسائل وتشمل تقنيات المعلومات والاتصال والإعلام، ولقد كان لهذه الوسائل من الإيجابيات على الأمة الإسلامية ما يلي:

1- إتاحة فرصة كبرى لنشر الثقافة الإسلاميّة

وذلك من خلال زوال كثير من العوائق التي كانت تحول دون نشر العقيدة الإسلامية مع سهولة الاتصال عبر شبكة الإنترنت وسهولة التواصل عبر وسائل الإعلام الفضائية (مرئية ومسموعة) وهو تحد جديد أمام المنتمين للثقافة الإسلامية اليوم وسوف يخسرون خسرانًا بينًا إن هم فرطوا في هذه الوصية السانحة للدعوة إلى الله ونشر الإسلام وقيمه الموافقة للفطرة السليمة للعالمين والرد على الشبهات المثارة حوله دون وصاية رسمية أو أنظمة مقيدة.

2- سهولة الحصول على المعلومة المفيدة

وهو أمر يسهم في بناء الجانب العلمي والمعرفي في الأمة الإسلامية عن طريق الحصول على الإحصاءات الموثقة والأبحاث العلمية بل وحتى الفتاوى الشرعية التي تسهم مجتمعة في نشر العلم والمعرفة ودعم عناصر العملية التعليمية الخمسة ، أو ما يسمى بالميمات الخمس: (معلم، متعلم، منهج، مكان، مجتمع) ومع أن الواقع التعليمي في البلاد الإسلامية مؤسف جدًّا حيث يبلغ متوسط نسبة الأمية 62%من عدد السكان ، وبينما يبلغ ما تنفقه إسرائيل على البحوث التطبيقية ملياري دولار سنويًّا، فإن الدول العربية مجتمعة لا تنفق على البحوث العلمية أكثر من 100مليون دولار، إلا أن وسائل العولمة الثقافية المعاصرة تتيح للبلاد الإسلامية مجالاً مهمًّا لنشر العلم بتكاليف معقولة مقارنة بمتطلبات نشر العلم في السابق.

3- الإطلاع على مساوئ الثقافة الغربية

وهذا الأمر يتم من خلال توسع أصحابها في نشرها ومحاولتهم تسويقها بين الشعوب؛ لكنهم في إطار العولمة لا يستطيعون حجب المساوئ عن أعين الآخرين مما أدى إلى نفور الكثيرين من هذه الثقافة الغربية ولا سيما في نسختها الأمريكية المشوهة لما رأوا فيها من أخطاء من أبرزها: التناقض، والتحيز، والمادية المجردة من الروح والمشاعر، والانفلات الأخلاقي الذي يصل في بعض الأحيان إلى حد البهيمية غير المنضبطة . وهذا الأمر لم يكن ليتم بهذه الصورة لو لم توجد وسائل العولمة الثقافية.

4- زيادة التواصل بين المسلمين

وذلك باستخدام آليات العولمة الثقافية فأصبح المسلم قادرًا على معرفة أحوال إخوانه المسلمين في المجتمعات الأخرى، ومعرفة التحديات التي تواجههم وبالتالي عونهم وتقوية الارتباط بهم.

لقد أسهم النقل الفضائي الحي والمباشر لما يتعرض له المسلمون في فلسطين إلى زيادة التلاحم بينهم وبين بقية المسلمين في سائر أنحاء العالم ولم يعد باستطاعة إسرائيل أن تحجب عن العالم الإسلامي ما تفعله بالفلسطينيين وهذا أدى إلى زيادة تفاعل المسلمين مع إخوانهم واستعدادهم لنصرتهم وعونهم، وأضعف في فرص استفراد الإعلام الغربي بنقل وجهة نظره المنحازة في أغلب الأحيان لهذا الصراع.

ولم يتم التعاطف مع قضية المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا إلا من خلال آليات العولمة وعبر وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة مع أن شعب البوسنة والهرسك تعرض إلى مجازر وحشية إبان الحرب العالمية الثانية إلا أن عدم نقل تلك الأحداث بواسطة أجهزة الأعلام أقام حاجزًا حال دون تواصل بقية المسلمين معهم بالشكل الذي حصل في التسعينات من القرن المنصرم.

وهذا الأمر ليس غائبًا عن كبار مسيري العولمة الثقافية اليوم، بل إنهم لا يخفون الشكوى من قنوات فضائية عربية معينة تنقل واقع المسلمين في بقعة ما من العالم لبقية إخوانهم المسلمين في كافة أنحاء العالم في التو واللحظة مما يزيد فيما يسمونه مشاعر العداء والكراهية لهؤلاء الذين يظلمونهم أو يحمون من يظلمهم، وكأن الخطأ ليس هو وقوع الجريمة أو الظلم باعتبار ذلك ممارسة عولمية مشروعة ولكن الخطأ هو نقل هذه الجريمة وذلك الظلم عبر استغلال آليات العولمة في الإضرار بمصالح أهل العولمة.

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول

((الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الأمة الإسلامية تفوق من حيث العدد والخطورة الآثار الإيجابية لها))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل فى ضوء دراستك لآثار العولمة الثقافية على الأمة الإسلامية